

١٠٠

49

مجزرة الاقصى .. شهادة .. وتجربة صحفي

من باحة الدم الى ظلام المعتقلات

محمد الجبيري - بيت لحم

صحفي فلسطيني يكتب لـ «القدس» عن وقائع المجزرة



لم يتوقف لحظة واحدة في جميع أنحاء الحرم القدسي .. ويبدو ان رصاص الاسلحة الاوتوماتيكية كان يسيل من جهات متعددة داخل وخارج ساحة الحرم القدسي الشريف .. هل نحن فعلا في مكان مقدس ؟ هل نحن في ساحة المسجد الاقصى وقبة الصخرة ام نحن في بيت لحم ؟ شيء تعجز عن وصفه اعظم الاقلام - الموت ينتشر في كل مكان .. وشباب ينفعون نحو الموت بكبرياء وعظمة لم المس ميلا لها في حياتي .. شباب يصرخون من اعلى اسماهم وهم يحاولون تأخير وصول الجنود بقية اسعاف مئات الجرحى هنا وهناك .. يستقبلون الرصاص الغزير الهجومي بصور متوترة وهم يهتفون (يارحمنا يا شهادة لعمرك يا اقصي) ..

كان الجنود قد اكملوا احتلالهم لايوان الاقصى .. وشريط الرعب والاذلة والكبرياء المنزلة يمر .. دقائق معدودة .. واشتد جندى الى الكسيرا .. انقض على واختطف الكثير .. وانتزعت الهوية الشخصية وايضا مجرد النظر في البطاقة الصحفية .. قلتي مسافة طويلة الى حيث تجلس مجموعة كبيرة من المعتقلين على الارض بجوار باب المغاربة على بعد بضعة امتار غربي المسجد الاقصى .. كان جميع المعتقلين يجلسون في صفوف متراسة وايديهم مربوطة ببقود بلاستيكية الى خلف ظهورهم .. ويؤوسهم جميعا متحدة الى الارض رغما عنهم وتحت طلقة الضرب الشديد من قبل عشرات رجال الشرطة وحرس الحدود والخبايا الذين يحيطون بهم من كل جانب ..

لا تترك صحفي

بينما اخذ شرطي يربط يدي خلف ظهري - حاولت توضيح الامر بمخاطبة ضابط كبير - قلت له بلاني صحفي حضرت قبل قليل مع صحفيين آخرين .. لم يستمع الى كلامي .. وانزل على ثلاثة من الشرطة والخبايا ضربا على وجهي وظهرتي وبطني بليديهم وارجلهم وبنقلهم ثم القوا بي الى الارض مع المعتقلين .. حاولت ان ارفع راسي لاسيما انني اعاني من الام الغضروف في ظهري .. الا ان اقدم انهم انزل على راسي بهراوة .. ويكثني بعنف في ظهري متوقفا بلفظ بنيتي لا يستطيع لمره نكرها .. قطعت الامل في امكانية العثور على احد من الضباط المتواجدين لتهم الامر .. الا انني كلما كنت انطق بكلمة صحفي .. كان عدد منهم يهجم على ضريبا وركلا وشتما الى الدرجة التي همس في فيها احد المعتقلين يتوقف عن قول كلمة (صحفي) ..

تقولنا .. جميع المعتقلين - الى ساحة تقع شمالي مسجد قبة الصخرة بجوار مخفر الشرطة الذي يبدو انه كان قد احرق تماما من قبل الشباب أثناء المواجهة .. وطوال الطريق من باب المغاربة الى المكان الجديد الذي نقلنا اليه كنا نشاهد برك الدم هنا وهناك .. لم تكن تصدق مثلما شاهدت عينا .. كان شيئا فوق مستوى الوصف ..

اجلسونا امام صفة ترتفع اكثر من نصف متر .. وايدينا مكبلة وامرنا بخفض رؤوسنا الى الارض .. ثم قام عشرات الصحفيين والمراسلين (الاسرائيليين) بالصعود على الصفة (المنصة) والتقاط مئة الصور لنا من كل الاتجاهات .. حاولت ان اشرح لبعض هؤلاء بلاني صحفي مثلم .. واعتقلت وانا اقوم بعملهم نفسه الا انهم

لم يكن احد من المواطنين الفلسطينيين يجرى بلاني سوف تكون المجزرة الجماعية في ذلك اليوم الاسود - الثامن من تشرين الاول - او على الاقل لم يكن احد يتوقع ان تكون المجزرة تقتل هذا الحجم من البطانة والدموية والتي لن يستطيع احد تسجيلها لعقبي فجميعها ..

طوال ايام قتل يوم القلعة يندد وسائل الاعلام ان الجماعة اليهودية المتطرفة التي تطلق على نفسها (جماعة امنا جيل الهيكل) سوف تقوم في اليوم المذكور بترح جحر الاساس لما تطلق عليه (الهيكل الثالث) اليهودي في ليلة المسجد الاقصى المبارك الذي تدعي بأنه مقام علي الاقداس الهيكل اليهودي الثاني .. ومن اجل ذلك طالب خطيب المسجد الاقصى المبارك (الشيخ) الجليلي الفلسطيني بوجود التواجد طيلة اليوم المذكور في المسجد الاقصى للدفاع عنه في وجه هذه الجماعة المتطرفة ومؤيديها والذين ما انفكوا منذ احتلال القدس عام ١٩٦٧ يحاولون النيل من الاقصى والامكان الاسلامية للقدس في الحرم القدسي الشريف بقية التخلص منها والتمتع بها نهائيا كونها للرب والجسم الاسلامي المقدس والوطني الذي يوحد الجماعة الفلسطينية والاسلامية ويحفظ على تحرير القدس بمقتضاها من الاحتلال والكيفية فان الاقصى وكما قيل في القرآن الكريم (القدس) والحرمة الشريفين ومكان مقدسا للمسلمين فقد واثقا ايضا اصبح ومنذ بدء الاحتلال يمثل رمزا وطنيا يجتمع عليه المسلمون والمسيحيون وكل الفلسطينيين من غير استثناء .. فهو الشاهد على عروبة القدس وفلسطينيتها وفويتها الشخصية .. وهو نفس الاقدس في وفي وعقل الجماعة الفلسطينية والمسلمة .. وهو المكان الذي يستطيع ان يوت من اجله كل فلسطيني وهو في غاية الرضا والامتنان .. ذلك هو الشجون للفتن في عقل قلب كل مواطن ..

في كل مرة حاولت فيها الجماعات اليهودية المتطرفة اقتحام باحة الحرم القدسي الشريف كان الفلسطينيين يستعدون لمواجهةها ومنعها .. وكانت الشرطة الاسرائيلية تقوم ايضا بمنعها او على الاقل لم تكن تسمح لها بالدخول الى ساحة الاقصى بصورة جماعية مما كان يقلل فرض الاحتكاك والمواجهة الدموية .. وكانت السلطات الاسرائيلية تقوم في الوقت نفسه بمنع سكان الضفة الغربية واهل القدس من الوصول الى الحرم القدسي الشريف بوضع الحواجز العسكرية على الطرق واغلاق ابواب الحرم القدسي الشريف .. لكن في هذا اليوم الدامي ورغم علم الشرطة بنيت جماعة (امنا الهيكل) واحتلال المسلمين واجهتها فلما لم تضع حواجزها العسكرية على الطرق لمنع سكان الضفة والقطاع والجليل من الوصول الى المسجد الاقصى .. فلما لم تمنع سكان القدس من ذلك .. وتواجبت للشرطة الاسرائيلية وحرس الحدود ورجال الخبايا بصورة مكثفة - فحل مجرى في ساحة الاقصى كان مغطيا في ظل حكومة شامير اليمينية المتطرفة ؟

على مشارف الاقصى

عندما وصلنا الى القدس كانت المبركة في ساحة الحرم القدسي الشريف قد اندلعت منذ وقت لم نستطع تحديده .. نزلنا من السيارة قرب باب العمود .. كان الناس مثل يوم القيامة .. بعضهم يجرى شمالا وبعضهم يجرى شرقا الى غربي السيارات تكاد تصدم بعضها .. وانشى يستطعن تحت ارجل المتدافعين .. ومع ذلك لم تكن لحظة ان تسمع ما يجري ..

اصوات اطلاق النار السريعة والاورشليمية كانت تصل بوضوح تام الى منطقة باب العمود .. وكانت تؤكد ان هناك معركة شرسة تجري في ساحة المسجد الاقصى ..

لقد انتابنا مجموعة من الشباب تهول باتجاه البلدة القديمة والمسجد الاقصى وهي تنقل لها طريقا بين صفوف الجماعة المتطرفة .. وكان هناك عشرات المراسلين والصحفيين يركضون بكبرياتهم في الاتجاه نفسه .. وبصوتية كبيرة وصلنا الى اول ابواب الحرم القدسي الشريف من الجهة الشمالية .. كان الناس تدخل او تخرج ولم يكن جنود او شرطة على الابواب .. كان خطيب المسجد الاقصى يدع المظاهرات عبر مكبرات الصوت في المسجد الاقصى تدعي على اهل القدس للتحضير من اجل اغلة واسعاف مئات الشهداء والجرحى والفلسطينيين في شتى ساحات الحرم القدسي ..

وينت المجزرة

كان صوت اطلاق النار في الشدة في كل الاتجاهات وكان الدخول الى ساحة الحرم يعني خطر الموت .. لكن الكثيرين كانوا يدخلون وهم في اقصى درجات الانفعال للاقبال الجرحى والقتل .. وبخل بعض الصحفيين من كل الجناس .. وكانت السيارات الطبية وسيارات الاسعاف لاتزال تدخل الى الساحة لنقل الجرحى والقتل .. لم تكن تتعد مسافة قليلة داخل اشوار الحرم حتى وجدا نفسها وسط حركة حقيقية .. رعبان غزير ينهمر هنا وهناك بصورة عشوائية .. في حركة غير محسوبة كانت كلمة بان تقفي على ضلفتها .. والى حركة تظهر هنا وهناك كانت كلمة يتوجهي وخذ كلمة من الرصاص نحوها .. شباب وكهول كانوا يتساقطون كاوراق الشجر .. والمظاهرات التي كانت تصل بصورة لم تسلم من توجيه النار اليها .. وزعم وصول الجيش والشرطة الى ساحة قبة الصخرة بعيدا عن موقع الاشتباك الدموي قرب باب المغاربة الا ان الرصاص

عرفت بالامر قبل ايام من خلال وسائل الاعلام .. الا انه اصر على رفض القواني مهددا بان هذه الغرفة التي تواجد فيها هي (غرفة رقم ٤) التي تعني بان احدا يدخلها لن يخرج منها سائلا بل مقطعا الى اربعة اجزاء اذا لم (يعترف) ؟؟

واعلني الى حيث الشباب الآخرين بقية اعلني للتحقيق في غرفة رقم ٤ .. الا انه لم يستعني مرة اخرى .. وبعد نصف ساعة ثم نقل الى مكان اخر داخل معتقل المسكوبية حيث حشرت مع عشرات المعتقلين في غرفة صغيرة .. وكنا جميعا لانزال مقيدون .. كلنا يخرجون المعتقلين واحدا واحدا .. الى ان جاني الدور وانسلت الى مكتب حيث امرني شرطي بالخروج كل مألدي من اغراض .. وتم تفتيشي بدقة .. واستوى الشرطي على شريط الكفيرا الذي لم يكن يضم اكثر من بضع صور لاحداث الاقصى .. في حين غلبية الصور اما شخصية او موضوعات اخرى .. وتم تسجيل اغراض في الامانات ليتم بعد ذلك نقل الى غرفة الاعتقال التي ضمت ٢٤ معتقلا بحيث ان كل سرير ضم ثلاثة معتقلين وتوزع الآخرون على الارض بين الاسرة .. وهناك علمنا للمرة الاولى ان عدد شهداء المسجد الاقصى بلغ (٢١) شهيدا ملما سمع البعض من اذاعة اسرائيل، باللغة العبرية أثناء التحقيق ..

ماذا حدث ؟

انما حشرنا في معتقل المسكوبية في هذه الغرفة او تلك تحدث بعض المعتقلين عن بدايات المجزرة الرهيبة في باحة المسجد الاقصى .. وقالوا ان المواطنين شكلوا في بداية الحدث حجازا بشريا لمنع الشرطة وجماعة امنا الهيكل التي كان اعضاؤها يقفون وراء الشرطة من الوصول الى المكان المعين لوضع حجر الاساس للهيكل الثالث امام المسجد الاقصى .. وقد هدد قائد حرس الحدود بحصد جميع من يقف من العرب في الحجاز البشري .. ثم لا احد يعرف ما الذي جرى بعد ذلك .. ومن الذي بدأ اولا .. اذ اخذ حرس الحدود والشرطة والمخابرات والمستوطنون يطلقون نيران اسلحتهم الرشاشة باتجاه جمهور المواطنين وفي حين كان يتساقط العشرات من المواطنين تصدى مئات الشبان ببسالة لاجلال الشرطة والمستوطنين وحرس الحدود .. وحدث ملحد ..

قبل الساعة الثامنة مساء ثم فرز المعتقلين من حملة هوية الضفة الغربية عن اولئك الذين يحملون هوية القدس .. وتم نقل المعتقلين من الضفة (وانا بينهم) الى غرفة او غرف متتوجة .. واعيدت لنا اغراضنا من (الامانات) ثم تم تجميع ابيدينا وصعب اعيننا بقطع من القماش .. وتم اقتيادنا الى الخارج .. وفي اثناء ذلك كان العديد من رجال الشرطة يقتضون علينا على حين غرة بالصفع على وجوهنا او الركل على جميع اجزاء اجسامنا .. ودفقونا بعنف الى داخل احد الباصات تحت الضرب الشديد والشتم والتعنيف ..

الى الظاهرية

بعد ان تحرك الباص اخبرنا احد الجنود باننا الان في ايدي الجنود وجيش الدفاع وليس للشرطة مع كل متعديه الكلمة من معنى .. وبالفعل واصل الجنود ضربنا على وجوهنا وظهورنا بكل ماني حوزتهم .. وذلك طوال الطريق الى معتقل الظاهرية حيث استقرت الطريق ملبقة ثلاث ساعات او اكثر او اقل .. المهم ان اقصى الضربات تلقيناها على راسي .. وشعرت بلاني ففتحت راسي وسال الدم بين خصلات الشعر نحو رقبتي ..

وصلنا عند منتصف الليل تقريبا الى معتقل الظاهرية .. وطوال الوقت كانت عيوننا مصممة وايدينا مقيدة .. واخذوا ينزلونا واحدا واحدا .. وكان الصراخ الواحد منا يملأ السماء .. عندما جاء دوري القادني احد الجنود حتى بل الباص الخلفي .. ثم دفعني الى الارض وسقطت على وجهي .. ولفعتني جنود آخرون حتى وقعت على رجلي .. واذ انك انزلت على مجموعة منهم بصورة وحشية لم امر بها في حياتي .. اقدمهم كان يضرب بعنف على وجهي واخر على راسي واخر كان يضربني بركبتي على بطني ومعدتي التي تعاني من التهابات حادة (ومناطق اخرى) في حين كان اقدمهم يسطع بضربات عنيفة على ظهري .. وسقطت على الارض في حالة صعبة ولم اتمكن من الوقوف على قدمي .. واحسست بان جنديين يحملاني من زراعي وينقلاني الى حيث يوجد سرير او مائتبه .. لم استطع الجلوس لشدة الام والخصوصا في معدتي .. وحضر الطبيب وامر باعطائي كوب ماء .. وبعد قليل نقلت لثقة الى حيث يقف المعتقلين حيث ادخل راسي في كيس من الكتي وقبضت بداي وراء ظهري من جديد وامرت بالوقوف كزملاني .. واستمر (شيحنا) طوال مائتي من ليل وساعات طويلة من النهار .. كانت الهراوات تهال على راس كل واحد منا تضعب قدامه عن حمله او يهز راسه بفعل التعب والنعاس .. وطوال الوقت كنا نسمع صراخا وانينا وبكاءا لمعتقلين يخضعون للضرب والتحقيق .. وعند الفجر كانت تتسرب ديات ربيع باردة جدا كانت تتسلل الى اعماقنا فترتض اجسادنا المنوعة تحت وطلتها ..

لا ابدي ما الذي جرى لاحقا .. اذ وجدت نفسي ملقى على الارض وحاول جندي ايطالي مرة اخرى على ساقبي .. واعطاني كوبا من الماء .. ثم لك القيد من يدي واخذني الى خزانة من البياضون لاتزيد مساحتها على مترين .. وبقيت ساعات طويلة داخلها واقفا او منكنا على جدارها ولم اتمكن من الجلوس لوجود الماء على ارضيتها .. وانكر انهم ادخلوا من تحت الباب طعام الاطاني .. لكنني لم اتمكن من تمييزه بسبب الظلام السائد في المعتقل .. واكتفيت بشرب قرح الشاي الذي اتي لي ما بعد الاما شديدا في معدتي وشعرت بان سكانني تقطع احتياكي .. وكان النهار حسيما قدرت قد انقضى نصفه .. فخلدت اضرب باب الخزانة بمنك لشدة الام .. واذ انك حضر الحارس والي الذي اعطاني الماء .. واجلسني على صندوق بلاستيكي .. ولم تمض بضع دقائق حتى اقتادني المحقق الى غرفة ضيقة .. وبعد ان احضر كاسا من الشاي ابدى اسفه لما جرى وقال بلاني سوف اخرج من المعتقل بعد ان يستمع لافلاتي حول ماجرى في الاقصى وماشاهدته هناك .. واخذ يتحدث عن (اسرائيل) (الديمقراطية) .. وخلال الحديث سال المحقق عن اسامهم بالحريصين .. وكان كفيده يرفض الاعتراف بان الجماعات اليهودية المتطرفة ومخططاتها المعلنه هي نفسها المسؤولة عن التحريض واثارة المشاكل .. وبدا وكأنه يبحث عن شخص او شخص عرب يريد اللقاء المسؤولية على عقلمهم ..

ديمقراطية اسرائيل

بعد جلسة التحقيق القادني المحقق الى حيث بقية الشباب (المسيحيين) والذين كانوا اذذاك يتناولون طعام الغداء .. وطلب مني تناول طعامي ويلما يعود .. وبعد نصف ساعة نقلت الى غرفة (العقاب) حيث وجدت هناك ستة اشبال من مناطق مختلفة من الضفة ليرالون رهن التحقيق في قضايا مختلفة .. واقتيد معهم ثلاثة ايام اخرى شعرت خلالتنا بانهم جزء من اسرتي .. وعندما ت الافراج عني واعيدت الى اغراض من الامانات .. اكتشفت ان مة شيقال قد تمت سرقتها من مجمل المبلغ المالي الذي اودعته من الامانات .. وبعد تفتيشي جيدا من قبل ادارة السجن والتأكد من اختفاء المبلغ المذكور ودعوتي بالتحقيق في الامر واعادة المبلغ المسروق لي لاحقا ..

كنت واحدا من خمسة شبان اخرج عنهم في تلك الليلة .. وكانت بلدة الظاهرية تخضع لمنع التجول .. وكان السير في الشارع يشكل خطرا .. وطلبت المساعدة من اصحاب احد المائل الذي استقبلنا بحرارة واقدم لنا الشاي والقهوة ثم اتصل بالهلال الاحمر في الخليل - حيث ارسلت لنا سيارة اسعاف لنقلنا كل الى مكان سكناه .. وكانت معظم المناطق خاضعة لحظر التجول او مناطق عسكرية اثر المجزرة الرهيبة التي وقعت في الاقصى ..



هاتف :
بدالة ذات عشرة
خطوط : ٧١٩٦١٦١
تلكس : ٢١٢٢١٥
فلكس : ٧١٩٨٤٩٤
ص. ب. ٢٠٠٩
مكتب الخدمة - لندن
بدالة : ٤٣٣٥٦٨٧
فلكس : ٤٣٦٠٤٣١

ΣΤ ΤΕΛΕΣΟΤ ΤΕΛ-97 ΤΕΛ-90 ΤΕΛ-9Ε ΤΕΛ-9• ΤΕΛ-91 ΤΕΛΕΣΟΤ

[illegible]

11

[illegible]